مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

تجلّيات الحركة النّقديّة وأثرها في قراءة شعر الشّاعر وتوجيهه (الفرزدق أنموذجاً)

عبد اللطيف ياسين سليمان *

(تاريخ الإيداع ٤/٢٥ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ٩/٢٥ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث نماذج مؤمثلة من شعر الشّاعر الأمويّ الفرزدق، ويسعى إلى قراءة الحركة النّقديّة التي أثيرت حول شعره ، ويحاول استقصاء أهم الآراء وأبرزها في قراءة شعره، وتوجيه دلالاته ، وأهمّها في مجال التّدليل على السّرقات الشّعريّة، والإغارات التي كان يلجأ إليها الفرزدق من شعر غيره من الشّعراء، وأهمّ المآخذ على شعره .

كلمات مفتاحيّة : الفرزدق ، شعر ، النّقد ، النّقّاد ، الشّعراء .

* دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها ، اختصاص بلاغة ونقد ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة ، البريد الالكتروني
Abdallatif.suliman@tishreen.edu.sy

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٧) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٧) 2023

Manifestations of the critical movement and its impact on reading and directing the poet"s poetry(Al-Farazdaq as a model)

Abd Al-Latif Soliman*

(Received ٢٥/٤ /٢٠٢٣. Accepted ٢٥/٩/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

This research deals with representative examples of the poetry of the Al-Farazadaq, and seeks to read the critical menmovet that arose about his poetry,and directs its implications, the most important of which is in the field of evidence of poetic thefts, and the raids that Al-Farazaq used to resort to from the poetry of others. Of the poets, and the most important drawbacks on his poetry.

Keyword: Farazaq, poetry, criticism, critics, poets.

* Doctor In Arabic language, Tishreen University – Lattakia - Syria.

مقدّمة :

كان الشّاعر الفرزدق يقول كثيراً من الأبيات الشّعريّة المشكلة إعراباً وتركيباً ودلالة والمتشابهة مع سواها من الأشعار المتقدّمة عليها ، ما أثار حفيظة النّقّاد واللغويين ضدّه، وهذا البحث يسعى إلى استقصاء هذه الجوانب والتّدليل عليها من شعره .

أهميّة البحث وأهدافه :

تبرز أهميّة هذا البحث من خلال سعيه إلى معرفة أهمّ المداخل النّقديّة، والملاحظات التّقويميّة المأخوذة على شعر الفرزدق، ومن خلال محاولته الجادّة الحثيثة لمعرفة تفصيلات هذه الظّاهرة، وأبعادها المتباينة في مجال النّقد الأدبي في العصر الأموي .

منهج البحث :

يتّبع البحث المنهج الوصفي الاستقرائي في تحليل الظّاهرة المدروسة، بغية قراءتها قراءة شموليّة استبطانيّة تدخل إلى عالمها الحقيقي، وتقرأ هذه الظّاهرة من فضائه الدّاخلي، لا من خارجه، أو من حواقّه

أولاً- ضبط حياة الفرزدق :

١- اسمه ونسبه :

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد بن تميم ، والفرزدق لقب غلب عليه ، وقد اختُلف في معنى الكلمة فذكر صاحب الأغاني أنّها الرّغيف الضّخم الذي تُجفّفه النّساء للفتوت [٢] ، وقيل إنّها قطعة العجين واحدها فرزدقة ، وقد لُقّب به لأنّه جهم الوجه، وأثر الجدري منطبع فيه [٣] ، وكان يُكنّى بأبي فراس .

يعود نسب الفرزدق إلى دارم ثمّ تميم ، وكان جدّه صعصعة عظيم القدر في الجاهليّة ، وقد اشترى ثلاثين موءودة إلى أن جاء الله بالإسلام ، وأثبت صاحب الأغاني أنّ صعصَعة وفد على الرّسول (ص)، وأخبره بفعلته في الجاهليّة، فاستحسنها وأسلم [٦] ، وقد فخر بذلك الفرزدق في قصائد كثيرة، منها قصيدته التي يقول فيها :

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي

متى تُخلف الجوزاءُ والنّجمُ يمطرِ

أجاز بنات الوائدينَ ومَن يُجِز

---

[١] ينظر : الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني ، تح : عبد الكريم إبراهيم العزاوي ومحمود محمّد غنيم ، إشراف : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٣م ، ٢٧٦/٢١ .

[٢] ينظر : ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تح : محمّد الدّالي ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ٧٨/١ .

[٣] ينظر : ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، تح : أحمد محمّد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، د.ت ، ٤٧٢/١ .

[٤] ينظر : المصدر السّابق ، ٤٧١/١ .

[٥] ينظر : الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ٢٨٠/٢١ .

[٦] ديوانه ، ضبط معانيه : إيليا الحاوي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ، ٦١٠/٢ .

على الفقرِ يعلمْ أنّه غيرُ مُخفرِ

وأما غالب أبو الفرزدق، فكان يُكنّى بأبي الأخطل ، كان سيّد بادية تميم ، جواداً شريفاً ، وقد استجير بقبره بكاظمة فاحتملها عنه الفرزدق [1] .

٢- نشأته وسيرته :

لا نعرف شيئاً عن طفولته سوى نتف صغيرة لا تُغني ؛ لذا لا نستطيع أن نحدّد عام ميلاده إلاّ بالتّقريب، إذ يذكر صاحب الأغاني أنّ غالباً والده قدم به على علي (رض) عام الجمل (٣٦ هـ) ، فقال : إنّ ابني هذا من شعراء مضر، فاسمع منه ، فقال له : علّمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيّد نفسه ، وآلى لا يحل حتّى يحفظ القرآن وقد شبّ الفرزدق في البصرة، [2]وكانت آنذاك سوق العرب بعد الإسلام تهوي إليها النّاس للتّجارة، والمنافرة، والمفاخرة، وطلب اللغة، والأدب والشّعر ، فتأثّر الشّاعر بهذه الحركة، وأكثر ما جذبه منها الفخر والمنافرة بحكم طبيعته، وإرثه الأخلاقي البدوي ، فهاجا شعراء قومه، فخشوا معرّة لسانه، وهابوا سلاطته ، فتهوّر في هذا المزلق، وطال أعراض النّاس، حتّى عُرف بالهجو قبل كلّ شيء ، لذا كان فاحشاً قاسياً حتّى على المرأة لا يفهم لها وجها، ولا يرى فيها إلاّ متعة ماديّة .

يذكر ابن قتيبة أنه نزل في بني منقر، فدخلت أفعى على جارية من بني منقر يقال لها ظمياء، فصرخت مستنجدة ، جاء الفرزدق فأخرج الأفعى وراودها عن نفسها، فانتهرته [3] ، فقال في ذلك جرير : [4]

ما كنتَ تنزل يا فرزدق منزلاً

إلاّ تركتَ به لقومك عارا

هكذا قطع الفرزدق مرحلة شبابه في سكر وفسق، يقول في ذلك : [5]

وإجّانةٍ ريّا الشّربِ كأنّها إذا اغتُمست فيها الزّجاجة، كوكبُ

مختّمةٍ من عهد كسرى بن هرمز بكرنا عليها ، والفراريجُ تنعبُ

سبقتُ بها يومَ القيامةِ إذ دنا ، وما للصّبا بعدَ القيامةِ مطلبُ

ويذكر البغدادي أنّه تاب في أواخر حياته، وهجا إبليس أبا الشّرور والغواية ، إلى أن أصابته الدّبيلة (مرض)، فهبط البصرة يستشفي ، فوافته المنيّة سنة عشرة ومئة، وله إحدى وتسعون سنة من العمر [1] .

---

[1] ينظر : البغدادي ، عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، تح : عبد السّلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م ، ص٢٢١ .

[2] ينظر : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ٢٨٣/٢١ .

[3] ينظر : ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، ٤٧٢/١ .

[4] جرير : ديوانه، شرح محمّد بن حبيب ، تح : نعمان محمّد أمين طه ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، د.ت ، ٥١٦/١ .

[5] ديوانه ، ٣٦/١ .

٣- النّقائض :

لقد أسهمت الرّوح القبليّة إسهاماً كبيراً في ازدهار فنّ الهجاء المعروف بالنّقائض في عصر بني أميّة ، على الرّغم من أنّ فنّ النّقائض كان معروفاً في صورة أوليّة في الجاهليّة وصدر الإسلام [١] ؛ بل لم تشتهر في تاريخ الأدب حرب كلاميّة كما اشتهرت حرب جرير والفرزدق ، فقد تربّع جرير والفرزدق والأخطل على قمّة الشّعر العربي في العصر الأموي ، ونشبت بينهم معارك هجاء كان الفرزدق والأخطل خصمين لجرير فيها ، وقد استمرّت الخصومة زهاء نصف قرن من الزّمان ، أمّا عن سبب التّهاجي، فإنّه يعود إلى أنّ جريراً هجا غسان السّليفي الشّاعر، فأخمله، فاستعان بالبعيث المجاشعي، فهجاه جرير ، فخاف هذا الأخير، والتجأ إلى قوم جرير، فأصفح عنه جرير ، وبعد سنوات عدّة قدم البعيث قوم الفرزدق، وسُئل عن قوم جرير، فأثنى عليهم ؛ لكن النّساء سفهن رأيه، ورحن ينشدن قول جرير السّابق فيه ، فأخذته الحميّة، والتحم مع جرير مجدّداً، لكنّه أخمله ثانية، فاستنجد بالفرزدق، ونشبت بينهما الحرب ، وكان الأخطل يعين الفرزدق على جرير ، والنّاس من حولهما فريقان يتعصب كلّ واحد منهما لصاحبه، ويدافع عنه .

كانا إذا التقيا في مجلس تغطرس الفرزدق، وافتخر بآبائه، وغمز من جرير، فلا يجيبه أكثر الأحيان ؛ على الرّغم من أنّ الفرزدق كان يقذع في سبّه وشتمه، ويسمّيه كلباً وخنزيراً وابن المراغة ، لكنّ جرير لا يتدانى إلى هذه المنزلة ؛ بل كان يضربه بعروبته ويعدّه هجيناً [٢] ؛ إذ ذاك أكثر إيلاماً للفرزدق، يقول فيه جرير [٣] :

وجدنا جُبيراً أبا غالب بعيدَ القرابة من معبدِ

وعرق الفرزدق شر العروق خبيثُ الثّرى كأبي الأزندِ

إذاً فالنّقائض قصائد امتزج فيها الفخر والهجاء، وكثرت فيها الإشارات إلى ماضي القبائل في الجاهليّة وحاضرها في بني أميّة ، يقول الشّاعر قصيدته، فيردّ عليه خصمه بقصيدة من وزنها وقافيتها، ويتعقّب أفكاره ومعانيه ، فيردّ عليه، ولم يخمد هذه الحرب إلاّ الموت ، فقد مات الفرزدق فرثاه جرير على الرّغم من إجحافه، فقال فيه قصيدته الشّهيرة التي مطلعها [٤] :

لا حملتْ بعد الفرزدق حرّة ولا ذات حمل من نفاس تعلّتِ

هو الوافد المحبو والحامل الثّأى إذا النّعل يوماً بالعشيرةِ زلّتِ

هذا وقد أسهمت هذه النّقائض في دفع عجلة الحركة النّقديّة في العصر الأموي قدماً نحو الأمام، فالطّابع العام الذي غلب على الحركة النّقديّة في ذاك العصر إنّما تمثّل في المفاضلة بين الشّعراء بوجه عام وبين شعراء النّقائض أو شعراء المثلّث الأموي (جرير والفرزدق والأخطل) بوجه خاصّ .

---

[١] ينظر : البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ٢٢٢/١ .

[٢] ينظر : قاسم، عون الشّريف : شعر البصرة في العصر الأموي (دراسة في السياسة والاجتماع) ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١م ، ص١٢١ وما بعدها .

[٣] ينظر : د. حقي، ممدوح : نوابغ الفكر العربي (الفرزدق) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، د.ت ، ص٤٥ وما بعدها .

[٤] ديوانه ، ٨٤٣/١ .

[٥] المصدر السّابق ، ٦٣٦/١ .

ثانياً : منزلته الشّعريّة :

لابدّ لنا من الحديث عن طبيعة النّقد الذي كان سائداً في ذلك العصر، ونحن في الطّريق لتلمّس طبقة الفرزدق ومنزلته الشّعريّة ، فقد كان النّص الشّعري العربيّ السّجل الحامل لأفراح العرب وأشجانهم منذ القديم ، وقد سايرت هذه العمليّة الإبداعيّة إبداعاً من نوع آخر هو النّقد ، وإن لم تكن بداياته مستندة إلى أحكام وأسس واضحة المعالم ، فقد كان في شكل أحكام فطريّة في مجملها يغيب عنها التّعليل ، ولن نقول: إنّ هذا الذّوق فطريٌ بامتياز جاء من العدم ؛ بل تضافرت عوامل عدّة لتشكّله ، من قيم اجتماعيّة ودينيّة وثقافيّة وسياسيّة صقلت ذلك الذّوق ، هذا وقد لعبت الانطباعيّة والسّلطة السّياسيّة الدّور الأكبر في ذلك ، فضلاً عن أسواق العرب ومجالسهم الأدبيّة ولقاءات الشّعراء التي أسهمت في تكوين النّواة الأولى للنّقد ، وكان من هذه الأسواق في العصر الأموي سوق المربد الذي أسهم بفاعليّة قويّة في نشوء حركة شعراء النّقائض (المثلث الأموي) ، وكان الطّابع العام الذي غلب على حركة النّقد في تلك الفترة طابع المفاضلة بين الشّعراء، هذه الحركة شكّلت بداية السّير على طريق النّقد المنهجي؛ من حيث اعتماده معايير نقديّة، وإن لم تكن واضحة المعالم ، لكنّها شكّلت فيما بعد منهجاً نقديّاً راقياً .

وانطلاقاً من ذلك لن نتوخى الدّقة في بيان منزلة شاعرنا إلاّ بالنّظر إلى مجايليه ، وبالتّحديد إلى شعراء المثلث الأموي (جرير ، الفرزدق ، الأخطل) ؛ لأنّ لكلّ زمان خصائصه الفكريّة واللغويّة التي قد تختلف اختلافاً كبيراً عن الفترة السّابقة أو اللاحقة له .

لقد اختلفت آراء النّقّاد القدامى في الفرزدق ما بين متعصّب له وعليه ، وتعدّدت الآراء حوله، فوصل بعضهم إلى حدّ الغلوّ ؛ إذ جعله أشعر شعراء العرب قاطبة ، وكان بعضها أقلّ من ذلك إذ كانت أحكامه أقرب إلى الاعتدال منه إلى التّطرّف والغلوّ ، والحقّ أنّنا لم نعثر على رأي أنزله منزلة الحضيض .

فالفرزدق نموذج كامل للغة الأمويّة والعقليّة الإسلاميّة في صدر دولة بني أميّة ؛ ولهذا لم يخرج موضوع شعره عن المواضيع البدويّة (الفخر ، الهجاء ، المديح ، الغزل) التي قال فيها الجاهليّون قروناً طويلة إلاّ قليلاً جدّاً، ولم يزد عليها إلاّ ألفاظاً قليلة ، من مثل الإسلام والخلافة، وما شابه ذلك، ممّا تقتضيه طبيعة تغيّر الظّروف الاجتماعيّة، والتّطوّرات العقليّة ، وقد عرف له القدماء ذلك ، فقال أبو عمرو بن العلاء : " لم أرَ بدويّاً أقام في الحضر إلاّ فسد لسانه غير رؤبة والفرزدق " ، وسنقسّم الآراء من قبيل التّقسيمٍ الإجرائي إلى :

١- الأدباء والرّواة النّقّاد : كانت الرّواية ظاهرة أدبيّة اجتماعيّة فنيّة في المجتمع العربي منذ الجاهليّة ، فلكلّ شاعر راوية أو أكثر ، وكانت الرّواية الشّرط الضّروري للتّكوين الشّعري والأدبي ، وانطلاقاً من ذلك إذا أردنا أن نتناول الآراء النّقديّة التي دارت حول منزلة شاعرنا كان محتّماً علينا أن نبدأ بابن سلاّم الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) ؛ لأنّه أوّل من نصّ على استقلاليّة النّقد الأدبيّ، وتفتّقت على يديه فكرة الطّبقات ، إذ كان هدفه أن يُنزل الشّعراءٓ منازلهم، ويحتج لهم بما وجد لهم من حجّة وما قاله العلماء فيهم ، ويُحمد لهذا الرّجل خطوته الرّائدة لإقامة أسس علميّة

---

[١] ينظر : ضيف، شوقي : النّقد ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، د.ت ، ص٢٠ وما بعدها ، و د. الحسين، قصي: النّقد الأدبي ومدارسه عند العرب (قراءة لمراحل تطور علم النّقد والعوامل التي طرأت عليه من العصر الجاهلي حتّى العصر الحديث) ، دار الهلال ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٨م ، ص٦٣ وما بعدها .

[٢] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ٢٢/١ .

[٣] ينظر : عبّاس ، إحسان : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ، دار الشّروق ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٦٧ .

[٤] ينظر : الجمحي، محمد بن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، قرأه وشرحه : محمود محمّد شاكر ، دار المدني ، جدة ، د.ط ، د.ت ، ٢٣/١-٢٤ .

منظّمة للنّقد ، فقد وضع الفرزدق في الطّبقة الأولى من فحول الإسلام مع جرير والرّاعي ، فهؤلاء كلّهم فحول في طبقة واحدة ، والملاحظ أنّ ابن سلاّم قد قيّد نفسه بعدد أفراد الطّبقة الواحدة، فغالباً ما جاء الرّابع مقحماً ؛ إذ لم نعثر على رأي نقدي يفاضل بين الرّاعي والفرزدق مثلاً، فهو دونه ، والسّؤال : على أي أساس وضع ابن سلاّم هؤلاء في طبقة واحدة ؟ وهل جميعهم متكافئون متعادلون ؟

جاء في الطّبقات " أخبرني محمّد بن يحيى قال : سمعت أحمد بن يحيى يقول : أنا أقول : جرير أشعر من الفرزدق ، وكان محمّد بن سلاّم يفضّل الفرزدق " [١] ، فهذا حكم فردي لم يُسنده إلى حجّة، ولربّما قال ذلك وهو متأثّر بموقف معيّن ضمن ظرف خاصّ ، فيؤخذ عليه عدم تحليله، ونقده لما يختار من الشّعر ، وقد يقول قائل كانت مقاييس المفاضلة لديه واضحة، منها تعدّد الفنون، والجودة، والإتقان في الصّنعة ، فنقول له هذه مقاييس عامّة وغير مستقرّة، إذ كثيراً ما تخضع لشروط البيئة ، فقد كانت أحكامه النّقديّة الخاصّة قليلة ، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّه استنفد أحكامه النّقديّة في مقدّمة كتابه، وتحوّل في صلبه إلى مؤرّخ للأدب ، فلم نعثر على رأي نقديّ واضح لابن سلاّم ؛ بل كلّ الأحكام تكاد تكون سطحيّة في طبيعة تقديم أحد هؤلاء على الآخر في هذه الطّبقة ، لكنّه لفت انتباهنا إلى أمر مهمّ هو موقف السّلطة الحاكمة، والعصبيّة القبليّة التي كان لهما دور لا ينكر في مكانة الشّاعر، يقول ابن سلاّم "سألت بشّاراً المُرعث ، أي الثّلاثة أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربيعة تعصّبت له وأفرطت فيه " [٢] ، وهذا جانب لكن بعض العلماء قدّموا الفرزدق على جرير انطلاقاً من نظرة جزئيّة إلى البيت الشّعري دون القصيدة، ووفقاً لهذه الرّؤية يجري حصر الفنّ الشّعري في بيت واحد، والبحث في قصائد الشّعراء عن البيت المثال الذي لا نظير له ، وقد ذكر ابن سلاّم أنّ : " الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلّداً والمقلّد البيت المُستغني بنفسه ، المشهور الذي يضرب به المثل ، فمن ذلك قوله :

فيا عجباً حتّى كليبٌ تسبّني كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

وكنّا إذا الجبّارُ صعّر خدّه ضربناهُ حتّى تستقيمَ الأخادعُ "

حكم له بهذه ، لكن كان جرير يجيد القول في موضوعات لم يُحسن الفرزدق فيها القول ؛ لأنّه بقي مشدوداً في قصائده إلى الفخر بعشيرته ومكانتها الرّفيعة ، إذاً فالعالم الشّعري عند جرير واسع يضمّ عدداً من الموضوعات لا يُجيدها الفرزدق ، وقد ذكر ابن سلاّم ذلك ، فعندما سُئل " الأُسيدي عنهما ، قال : بيوت الشّعر أربعة : فخرٌ ومديح ونسيبٌ وهجاء ، وفي كلّها غُلّب جرير ، في الفخر قوله :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ النّاسَ كُلَّهم غضابا

وفي المديح قوله :

ألستُم خير من ركب المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

وفي الهجاء قوله :

[١] المصدر السابق، ص٣٧٥ .

[٢] المصدر السّابق ، ص٤٥٦ .

[٣] المصدر السّابق ، ص٣٦١ .

فغضّ الطّرفَ إنّك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وفي النّسيب قوله :

إنّ العيون التي في طرفها مرضٌ قتلننا ثمّ لم يُحيينَ قتلانا

وإلى هذا يذهب أهل البادية " [1] ، هذا حكم فيه شيء من الدّقة والفطنة [2] ؛ لأنّه ناتج عن إحاطة واسعة بأغراض الشّاعرين ، وإن لم تكن كاملة ، لكنّنا لا نعرف ذوق هذا النّاقد وثقافته ، فمن كان يُفضل سهولة الكلام وحُسن العبارة وحلو اللفظ يميل إلى هذا الحكم .

لكن على الرّغم من الآراء التي ذكرها ابن سلاّم واختلاف العلماء فيهما ، فإنّنا نعثر على آراء نقديّة كثيرة تشيد بالفرزدق، وقد يشكل علينا الأمر ، فنجد ابن قتيبة يقول : " كان الفرزدق معنّاً مفنّاً ، يقول في كلّ شيء ، وسريع الجواب .. " [3] ، أي إنّه فصيح يدخل في كلّ شّيء ، ويشتقّ في الكلام فنّ بعد فنّ ، وما قاله ابن قتيبة أكّده المرزباني بخبره " قال البحتري : لا أرى أن أكلّم من يُفضّل جريراً على الفرزدق، ولا أعدّه من العلماء بالشّعر، فقيل له : وكيف كلامك أشدّ انتساباً إلى كلام جرير منه إلى الفرزدق ؟ فقال : كذا يقول لا يعرف الشّعر، لعمري إنّ طبعي بطبع جرير أشبه ، ولكن من أين لجرير معاني الفرزدق، وحسن اختراعه ؟ جرير يجيد النّسيب، ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء بالقين وقتل الزّبير وبأخته جعثن وامرأته النّوار ، والفرزدق يهجوه في كلّ قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويُبدع فيها " [4] .

هذا حكم نقدي معلّل تعليلاً مقبولاً، لكنّه يبقى بعيداً عن التّفصيلات الدّقيقة التي تدخل في صلب تحليل النّصوص بشكل أوسع أو شامل للوقوف على دقائق الأمور ، بمعنى أنّها لم تبنَ على دراسة وافية لشعر هؤلاء الشّعراء، لكنّ الذي يستوقفنا هنا قول البحتري (إنّ طبعي بطبع جرير أشبه)، والمعروف أنّ البحتري من الذين يركّزون على الجانب الأسلوبي في صناعة الشّعر، وإن كان دون أبي تمّام ، فجرير يُشهد له في الرّقّة، وقد شهد له بذلك الأخطل غريمه بقوله : " جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر " [5] .

وإذا انتقلنا إلى أبي الفرج الأصفهاني، فقد أورد أنّ خالداً بن أم كلثوم سأل المفضّل الضّبي : " الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال : الفرزدق ، قلت : ولمَ ؟ قال : لأنّه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين، ومدح فيه قبيلتين ، وأحسن في ذلك فقال :

عجبتُ لعجلٍ إذ تهاجي عبيدها كما آلُ يربوع هجوا آل دارمِ

فقيل له :قد قال جرير :

إنّ الفرزدق والبعيثَ وأمّه وأبا البعيث لشرّ من إستارِ

---

[1] الجمحي، محمّد بن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٣٧٩-٣٨٠ .

[2] ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، ص٤٧٣ .

[3] المرزباني : الموشّح ، ص١٢٤ .

[4] الجمحي، محمّد بن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٤٥١ .

[5] القبيلتان الممدوحتان : عجل ودارم والقبيلتان المهجوتان : يربوع والقبيلة التي عبّر عنها بقوله : عبيدها .

فقال : وأي شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والنّاس كلّهم بنو فاعلة!" [١] ، لكن هذه أحكام جزئيّة تُطلق بالنظر إلى بيت بعينه، وفي الغالب تكون تأثريّة، ربّما تتعلّق بمآرب أخرى ، وهنا يهمّنا رأي صاحب الأغاني ؛ لأنّ أحكامه تعتمد على معايير أعمّ وأوسع ، وقد حوى الأغاني آراء نقديّة يندر الاهتداء إليها في كتب أخرى ؛ لأنّ أبا الفرج تعقّب آراء الشّعراء، ورجال الأدب في النّقد، فجاءت نظرته شموليّة، يقول : " والفرزدق مُقدّم على الشّعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، ومحلّه في الشّعر أكبر من أن يُنبّه عليه بقول ، أو يُدلّ على مكانة بوصف ؛ لأنّ الخاصّ والعامّ يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تقدّمه بالخبر الشّائع علماً يُستغنى به عن الإطالة في الوصف ، وقد تكلّم النّاس قديماً وحديثاً ، وتعصّبوا واحتجّوا بما لا مزيد فيه " [٢] .

فهو شاعر فحل مشهود له، ولولا شعره لذهب ثلث لغة العرب كما يقول يونس [٣] ، وسنختم بحكم النّوار (زوجته وهي ليست راوية)، وإن كان حكمها مطعون فيه ؛ لأنّها كانت تفركه، لكنّه يحمل فكرة نقديّةً قيمة ، فقد ذكر الأصمعي أنّ الفرزدق سألها : كيف شعري من شعر جرير ، فقالت : شركك في حلوه، وغلبك في مرّه [٤] .

هذا عرض لأهمّ آراء الأدباء والرّواة النّقّاد، إذ يصعب علينا تناول كلّ ما قيل عن الفرزدق ، فنحن إذاً أمام جملة من الآراء المتضاربة التي تُفضّل هذا أو ذاك ، وهذه المفاضلة في معظمها انطباعيّة تأثريّة تفتقر إلى التّعليل المعمّق، أو متعلّقة بمآرب أخرى من مثل العصبيّة القبليّة، والسّلطة السّياسيّة ، إذ فضّل بعضهم جريراً لكثرة فنون الشّعر لديه ، وفضّله آخر لسلاسة ألفاظه ، وثالث لقلّة تكلّفه ، وجماعة لمدحه إيّاهم، وإعلائه من شأن السّلطة، وهكذا .

٢- الشّعراء النّقّاد :

سنعرج على آراء الشّعراء النّقّاد لعلّ آراءهم تبدو أكثر دقّة ، إذ ينظر الشّاعر إلى قصيدته فيقوّمها، بوصفه باثّاً ومتلقّياً في الوقت نفسه ، وقد تصدّى الشّعراء الفحول في المثلّث الأموي للنّظر في أشعار غيرهم من الشّعراء المعاصرين ، ومنهم من امتدّ نقده، ليشمل شعراء الجاهلية ، وكان يحكم على أشعارهم، ويقيّم أعمالهم، ويفاضل بينهم، ويبدي رأيه فيمن كان الشّاعر الأفضل من وجهة نظره ، إذ يذكر لنا ابن قتيبة أنّه طُلب من الصّلتان العبدي (الشّاعر) أن يحكم بين جرير والفرزدق، وهو أشهر القضاة الذين حكموا بينهم، فقال حكمه شعراً : **الصّلتانيّ الذي قد علمتم متى ما يُحكّم فهو بالحقّ صادعُ**

أتتني تميمٌ حين هابتْ قُضاتها وإنّي لبالفصلِ المُبيّن قاطعُ

إلى أن يقول :

أرى الخطفيَ بذَّ الفرزدقَ شعرُهُ ولكنّ خيراً من كُليب مجاشعُ

---

[١] الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني ، ٢٨٤/٢١ .

[٢] المصدر السابق ، ٣٩٣/٢١-٣٩٤ .

[٣] ينظر : المصدر السّابق ، ٣٩٥/٢١ .

[٤] ينظر : الأصمعي : فحولة الشّعراء ، تح المستشرق س . توري ، قدّم لها د. صلاح الدّين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص٢٠ .

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُهُ جريرٌ ولكن في كليب تواضعُ

جريرٌ أشدّ الشّاعرين شكيمةً ولكنْ علتهُ الباذخاتُ الفوارعُ

ويرفعُ من شعرِ الفرزدق أنّهُ له باذخٌ لذي الخسيسة رافعُ

لكنّ جريراً لم يقبل بهذا الحكم، وهجا الصّلتان ، على الرّغم من أنّه فضله علىٰ الفرزدق في الشّعريّة ؛ لكن فضل الفرزدق عليه بنسبه، وهنا يتّضح دور العصبيّة القبليّة في رفع منزلة الشّاعر عن أقرانه .

أمّا الفرزدق، فكان يقول عن شعره وشعر جرير : " إنّي وإيّاه لنغترف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النّهر" ، فالفرزدق يريد أنّ تجربته الشّعْريّة مشابهة لتجربة جرير ، وأنّ المنبع واحد ، لكنّ التّفوّق يكون بعدئذ للفرزدق ، وهو يشير إلى متن أسلوبه، وحسن صياغته، فما يُنحت من صخر يثبت، وما يُغرف من بحر يتلاشى سريعاً .

وقد روى ابن سلاّم أنّ الحطيئة (الشّاعر) فضّل الفرزدق على نفسه، وعلى غيره من الشّعراء، عندما سمعه ينشد مدحته في سعيد بن العاص، فقال : هذا والله هو الشّعر، لا ما كنت تعلّل به منذ اليوم أيّها الأمير، فقال له كعب بن جعيل، وكان حاضراً : فضّله على نفسك ، فلا تفضّله على غيرك ، قال : بلى والله، إنّه ليفضلني وغيري ... .

ونختم أخيراً بشهادة خصمه له، فقد نعته بنبعة الشّعر ، يذكر ابن سلاّم أنّ عكرمة بن جرير سأل أباه : يا أبتِ من أشعر النّاس؟ فقال الجاهليّة تريد أم الإسلام ، قلت : أخبرني عن الجاهليّة ، قال : شاعر الجاهليّة زهير ، قلت : فالإسلام ، قال : نبعة الشّعر الفرزدق .. [٤] .

إذاً هذه آراء بعض النّقّاد القدامى في منزلة الفرزدق الشّعريّة ، فمنهم من جعله أشعر شعراء العرب قاطبة ، ومنهم من جعله أشعر شعراء طبقته ، ومنهم من فضّله في بعض الأغراض ، وتأتي أخبار تنقض السّابق فتجعل الفرزدق دون جرير، ولا يجاريه في فنون الشّعر ، فهذا ابن سلاّم يذكر أنّ يونس النّحوي يقول : ما شهدتُ مشهداً قطّ ذكر فيه جرير والفرزدق ، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما ، وقد عمدنا أن نعرض الموضوْع بهذه الطّريقة، حتّى نضع القارئ في الصّورة ، فلو أردنا أن ننحاز لذكرنا كلّ ما للفرزدق، وأغفلنا ما عليه ، فهذه الأخبار تبيّن لنا حقيقة المسار النّقدي آنذاك ويصعب معها الخروج بنتيجة مرضية ، والقضيّة تحتاج لدراسة وتتبّع دقيقين ، فالنّقائض كانت تشكّل منبراً إعلاميّاً سياسيّاً بالدّرجة الأولى ، وهذه الحركة لعبت دورها في طمس معالم الجمال الفنّي عند غيرهم من الشّعراء ، فالمتتبّع لشعر الفرزدق يُدرك كثرة مواضع الانحطاط فيه، وخاصّة فيما يتعلّق بالشّتائم، وغيرها من فاسق القول، والأدهى أنّها كانت تجري حتّى في حضرة الملوك، كما يذكر صاحب الأغاني قصّة الفرزدق وجرير عند يزيد بن عبد الملك " الفرزدق كان يشتم جريراً، ويقول له : حمار " ، وهذه ظاهرة غير مقبولة لا في الإسلام ولا حتّى في التّقاليد

---

[١] ينظر : ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، ٥٠٠/١-٥٠١ .

[٢] الجمحي ، ابن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٣٧٧ .

[٣] ينظر : الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني ، ٣٢٢/٢١-٣٢٣ .

[٤] ينظر : الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني ، ٩١/٧ .

[٥] ينظر : الجمحي، ابن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٢٩٩ .

الجاهليّة العربيّة الرّفيعة ، وقد أُثر عن النّبي (ص) أنّ الشّعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام .[١]

إذاً من النّاحيتين الفنيّة والأخلاقيّة تلمّسنا القصور وبعض الهفوات ، لكن على الرّغم ممّا ذُكر لشاعرنا من مثالب تبقى له منزلته الخاصّة بين أقرانه .

ويمكن القول: إنّ هذه المفاضلة والموازنة بين هؤلاء الشّعراء قد خلّفت للأدب العربي ثروة نقديّة عظيمة ؛ على الرّغم من تأثّرها بالتّعصّب والأهواء أحياناً .

ثالثاً : الإغارة والسّرقات الشّعريّة :

قضيّة السّرقات من القضايا التي تناولها النّقّاد بالدّراسة ، وأفردوا لها مصنّفات عدّة منها في سرقات شاعر من آخر ومنها في السّرقات عامّة ، وتبدو هذه القضيّة في أهميّتها شبيهة بقضيتي اللفظ والمعنى ، وربّما فاقتها خطورة ؛ لأنّها اقتطعت من جهود النّقد العربي جانباً كبيراً ، وتتصل هذه القضيّة بسابقتها ؛ لأنّها انبثقت من قضيّة اللفظ والمعنى ، إذ يُقصد بالسّرقة سرقة المعنى حيناً وسرقة اللفظ حيناً آخر، أوكليهما أحياناً أخرى .

وقد شغل موضوع السّرقات معظم النّقّاد ، ولعلّ السّبب في ذلك أنّ الشّعر العربي بعد أن وصل الذّروة في العصر العبّاسي على يد كبار الشّعراء جمد واتّخذ صورة ثابتة ، محورها الموضوعات القديمة والمعاني القديمة ، فأصبح همّ النّقّاد أن يذكروا من أين أخذ الشّاعر معناه، ومن سبقه إليه، ومن منهم أجاد الشّاعر التّابع أم المتبوع من أهمّ أهداف تتبّع السّرقات الوقوف على أصالة العمل الإبداعي، وصحّة نسبته إلى صاحبه، ومقدار ما جاء من الجدّة فيه من أفكار بكر ، والواقع أنّ الوقوف على هذه النّواحي يحتاج إلى فطنة، وذكاء، وسعة معرفة بالأدب، والفنون، وإطلاع على التّراث الأدبي، وحفظ قدر كبير من الأشعار للمشهورين والمغمورين ؛ حتّى يتسنّى للمرء الحكم على العمل الأدبي بأصالته أو عدمه ، لذا يقول الجرجاني : "ولست تعدّ من جهابذة الكلام ، ونقدة الشّعر ؛ حتّى تُميز بين أصنافه وأقسامه ، وتُحيط علماً برتبه ومنازله ... " .[٢]

وقبل أن نبدأ الحديث عن سرقات الفرزدق لابدّ لنا من الحديث عن المواضع التي يقع فيها السّرق ، والمواضع التي لا يجوز ادّعاء السّرق فيها ، وسنعمد إلى بيان رأي القاضي الجرجاني فيها بشكل موجز ؛ لأنّ الحديث عن هذه القضيّة يحتاج لبحث خاصّ .

لقد سبق القاضي الجرجاني في تناول هذه القضيّة كلّ من المبرّد، وابن المعتزّ، والآمدي، وابن رشيق ، وهذا الأخير تناولها بشكل مفصّل، إذ عدّد أنواع السّرقات، وحدّدها بدقّة ، لكن تتبّع هذه التّفصيلات يعدّ أمراً مرهقاً ، فمن أهمّ القضايا التي عرض لها القاضي الجرجاني في الوساطة قضيّة السّرقات الشّعريّة، والسّرقة عنده ما وقعت في المعاني الخاصّة ، فقد فرّق بين ما هو سرق، وممّا ليس بسرقة، فخطّأ من يقول بسرقة العامّ المشترك بين النّاس، "ولو سمعت قائلاً يقول: إنّ فلاناً أخذ عن فلان قوله : لا مرحباً بالشّيب، وحبّذا الشّبابُ ! وكيف لو عادَ ، ويا أسفي لفراق

---

[١] ينظر : د. العاني، سامي مكّي : الإسلام والشّعراء ، عالم المعرفة ، العدد ٦٦ ، ص٤٢ .

[٢] الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجاوي ، دار القلم ، بيروت ، د.ت ، ص١٨٣ .

الأحبّة ! ... لحكمتَ بجهله ، ولم تشكّ في غفلته " ؛ وذلك لأنّ المعوّل عليه في الشّعر هو الصّياغة لا المعنى، كما يقول الجاحظ : " المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجمي والعربيّ والبدويّ والقرويّ والمدنيّ ؛ وإنّما الشّأن في إقامة الوزن وتخيّر الألفاظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ... " ، إذاً رفض السّرقة في الألفاظ[1] المتداولة، والمشتركة، والصّور التي يشترك فيها النّاس جميعاً ، ينفي السّرقة، والاتّباع لمثل تشبيه الحَسَن بالشّمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ... وهذا ما ذكره ابن رشيق إذ يقول : وليس بسرق اشتراك اللّفظ المتعارف ، نحو قول عنترة :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ عليها الأُسدُ تهتصرُ اهتصارا

وقول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيلٍ تحيّة بينهم ضربٌ رجيعُ

لا بل تُعدّ السّرقة ممدوحة إذا ما حوّر الشّاعر المعاني التي سبق إليها على حدّ قول ابن طباطبا " إذا تناول الشّاعر المعاني التي سُبق إليها، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب؛ بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه .. " ، وقد منح الجرجاني الشّعراء رخْصة في استلهام المعاني ، فلم يرَ في السّرقات عيباً ؛ طالما لم يترك الأوّل للآخر إلّا القليل من المعاني ، وكأنّه يلتمس لهم عذراً " ومتى أنصفت علمت أنّ أهل عصرنا، ثمّ العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمّة ؛ لأنّ من تقدّم قد استغرق المعاني وسبق إليها ... " ، إذاً هي داء قديم، وعيب عتيق لم يسلم منها شاعر لا في الماضي ولا في الحاضر .[5]

يمكننا بعد هذا العرض أن نتحدّث عن إغارته ، فالإغارة هي أخذ الشّعر عنوة ، إذ ذكر أبو حاتم أنّ[6] الأصمعي قال بعد أن سأله عن شعر الفرزدق : " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة ، قال : وأمّا جرير فله ثلاثون قصيدة ما علمته سرق قطّ إلا نصف بيت " ، وقد عقّب على ذلك المرزباني[7] بقوله : " وهذا تحامل شديد من الأصمعي، وتقوّل على الفرزدق لهجائه بأهله ، ولسنا نشكّ أنّ الفرزدق قد أغار على بعض الشّعراء في أبيات معروفة ، فأمّا أن نطلق أنّ تسعة أعشار شعره سرقة، فهذا محال " ، إذاً هذا الخبر مهما يكن من أمْر يشي أنّ للفرزدق سرقاً كثيراً، وإن كان فيه شيء من المبالغة، وآثار تتعلّق بأغراض شخصيّة .

ويؤكّد هذه الأخبار ما رواه المرزباني عن أحمد بن طاهر قوله : " كان الفرزدق يُصلت الشّعراء ينتحل أشعارهم، ثمّ يهجو من ذكر شيئاً انتحله، أو ادّعاه لغيره ، وكان يقول : ضوال الشّعر أحبّ إليّ من ضوالّ الإبل ، وخير السّرقة

---

[1] الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص١٨٦ .

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتّبيين ، تح : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٩٨م ، ٨٣/١ .

[3] ينظر : القيرواني، أبو الحسن ابن رشيق : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، تح : محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ٢٩٢/٢ .

[4] العلوي، ابن طباطبا : عيار الشّعر ، تح : عبّاس عبد السّاتر ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ص٧٩ .

[5] الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص٢١٤ .

[6] ينظر : القيرواني، أبو الحسن ابن رشيق : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، ٢٨١/٢ .

[7] الأصمعي : فحولة الشّعراء ، ص١٩ .

[8] المرزباني، أبو عبد الله محمّد بن عمران: الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، نشرته : جمعيّة نشر الكتب العربيّة ، المطبعة السّلفيّة ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٤٣هـ ، ص١٠٦ .

ما لم تقطع فيه اليد " ، فقد رويت أخبار كثيرة عن إغاراته، وكلّ هذه الشوّاهد تثبت أنّ للفرزدق تاريخاً حافلاً في السّرقات الشّعريّة .

فأبو يحيى الضّبي يذكر أنّ ذا الرّمة قال يوماً : " لقد قلت أبياتاً إنّ لها لعروضاً ، إنّ لها لمراداً ومعنىً بعيداً ، فقال له الفرزدق : ما قلت ؟ قال : قلت :

أحينَ أعاذتْ بي تميمٌ نساءها وجُردتُ تجريدَ اليماني من الغمدِ

وكنّا إذا الجبّار صعّر خدّه ضربناه فوق الاثنيين على الكردِ

فلمّا أنشدها قال له الفرزدق : لا تعد فيها، فأنا أحقّ بها منك ، قال : والله لا أعود فيها، ولا أنشدها أبداً إلّا لك .. ، فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وكنّا إذا القسيُّ نَبى خلفَنا ضربناه فوقَ الاثنيين على الكردِ

وشبيه بهذه القصّة ما روي عن الفرزدق أنّه سمع جميلاً بن معمّر ينشد قوله :

ترى النّاسَ ما سِرنا يسيرون خلفَنا

وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقفوا

فقال الفرزدق : أنا أحقّ بهذا البيت منك، فرفع جميل رأسه، فعرفه ، فقال : أنشدك الله يا أبا فراس . قال : نحن أولى به منك ، فانصرف، فانتحله .[٣]

وكما فعل الفرزدق مع جميل فعل مع ابن ميّادة حين وجده واقفاً في الموسم ينشد :

لو أنّ جميع النّاس كانوا بتعليةٍ

وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالمِ

لظلّت رقابُ النّاس خاضعةً لنا

سجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

فقال الفرزدق وددتُ أنّي سبقت إلى هذين البيتين قبل ، قيل : فكنت تقول ماذا ؟ قال كنت أقول : فجئت بجدي دارم وابن دارم ، قال ابن سلاّم : ثم أدخلهما في شعره .[١]

---

[١] المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص١٠٦ .

[٢] ينظر : الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني ، ٢٢٦/٢١ ، وينظر أيضاً : المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص١٠٧ .

[٣] ينظر : المصدر السابق ، ص١٠٩ .

فيبدو الفرزدق في هذه الرّوايات شخصاً ذا سطو يرهبه جميع النّاس، ويخشون بأسه ، وهو لا يرى الفخر إلاّ لنفسه وقبيلته ، فكلّ معنى رائع يلحقه الشّعراء بأنفسهم وقبائلهم هو أحقّ منهم به ، وهذه الصّفة المشتركة في الأبيات السّابقة التي اغتصبها من أصحابها ، غير أنّ له سرقات من نوع آخر غير ذلك النّوع المغتصب من أصحابه علانيّة .

يذكر المرزباني أنّ أبا عبيدة قال : " كان الفرزدق يجتلب القصيدة، ويجتلب المعنى ، فجاء رجل من قيس إلى محمّد بن رباط، فاستعدى على الفرزدق ، وقد سلّم الفرزدق، فخرج ، فقال محمّد : ادعوا الفرزدق ، فجاء ، فقال الفرزدق : سل هذا فيمَ يستعدي عليّ ؟ قال : غلبني على قصيدة عمّي الأعلم ، فقال : أشهدكم أنّي قد رددتها، فقال محمّد : نحّوهما " [٢] .

يتّضح من قول أبي عبيدة أنّ الفرزدق كثير السّرق ، كان يجتلب المعنى، فربّما يُعدّ ذلك من السّرقات الممدوحة إذا حوّرها، وألبسها ألفاظاً أفضل ممّا كانت عليه ، وهذا ينفي تهمة السّرقة عنه وعن غيره ؛ لأنّها ترتبط بالتّجديد والتّطويع، كي تتناسب مع الزّمان والحضارة ، إذ يقول أبو بكر الصّولي : " إنّ الشّاعر متى أخذ معنى قديماً، فطوّره، ونقّحه، وزاد عليه، ووشّحه بالبديع، فظهر تامّ المعنى ، كان أحقّ به " ، أمّا أن يلتقط، ويلفّق، فهذا أمر[٣] مزعوم وهذا ما فعله الفرزدق في الخبر، إذ أقرّ بسرقته لأبيات عمّ المُدعي، وشهد له بإعادته .

وجاء في الموشّح أيضاً أنّ أحمدً بن أبي طاهر قال : " قال النّابغة :

وصهباءَ لا تُخفي القذى وهي دونه

تُصفق في راووقها ثمّ تقطبُ

تمزَّزتها والدّيكُ يدعو صباحه

إذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخاً :

وإجّانة ربّا الشّراب كأنّها إذا صفّقت فيها الزّجاجة كوكبُ

تمزَّزتها والدّيكُ يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا "

---

[١] المصدر السابق ، ص١٠٨ .

[٢] ينظر المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص١١٠ .

[٣] الصولي، أبو بكر : أخبار أبي تمام ، تح : خليل عساكر ومحمّد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي ، دار القلم ، بيروت ، د.ط ، د.ت ، ص٤٦ .

[٤] المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص١١٢ .

ربّما لا يعدّ البيت الأول سرقة ؛ بل سرقة ممدوحة، لأنّه أجاد في وصف الخمر، إذ إنّ الزّجاجة تُصفق فيها لصفائها وشعاعها ، لكنّ البيت الثّاني نسخه نسخاً، فهناك احتمالات عدّة، إمّا أن تكون الرّواية مشكوكاً فيها، وإمّا أن يكون غير آبه بما يأخذ، حتّى من فحول شعراء الجاهليّة لسلاطة لسانه، وهي سرقة جليّة لا تخفى على[1] كأبو العلاء أنّه لقي الفرزدق في المربد، فقال له : يا أبا فراس أحدثت شيئاً ؟ فأنشده :

كم دونَ مَيَّةَ من مستعمل قَذفٍ

ومن فلاة بها تستودع العيسُ

قال أبو العلاء فقلت : سبحان الله، وهذا المتلمّس ! قال : اكتمها فلضوالّ الشّعر أحبّ إليّ من ضوالّ الإبل .

يبدو أنّ الرّواة كانوا يتتبعون الفرزدق بعد أن ذاعت سرقاته، وشاع أمرها بينهم ، وهذا ربّما كان السّبب الأوّل في الرّوايات الكثيرة التي تكشف عن سرقاته ، وتؤكّد هذه الأخبار الكثيرة أيضاً أنّ الفرزدق لم يدع تقريباً شاعراً قديماً ولا حديثاً ، إلاّ وسرق، أو ضمّن منه بيتاً، أو أكثر ، وحتّى تتضح الصّورة لم يكن الفرزدق وحده موضع الاتّهام ، فالمتتبع للسّرقات يمكنه القول : إنّ النّقاد لم يتركوا شاعراً من الشّعراء إلاّ وتناولوه، ووجدوا في شعره أكثر من معنى مأخوذ من شاعر قديم أو معاصر .

رابعاً : المآخذ على شعر الفرزدق :

ظهرت في العصر الأموي طبقة من النّحاة واللغويين أسّست لظهور علم النّحو واللغة ، وقد اشتغلوا على استنباط قواعد عامّة يسير عليها الأدباء والشّعراء ، فقالوا بضرورة التّمسّك بها، والحفاظ عليها ؛ حتّى تستمر لغة العرب وآدابها قويّة منيعة ، وقد روي عن هؤلاء النّحاة واللغويين أخبار نقديّة كثيرة ، تتميّز بالدّقّة، وأهمّ ما فيها أنّها جاءت مبرّرة ومعلّلة وموضوعيّة ، إذ تخلو من روح التّعصّب والهوى ، وهذا ما فتح الباب أمام العلماء لتأسيس نقد قائم على أسس علميّة ، بعد أن ظلّ لفترة طويلة حكراً على الأدباء والمتأدبين والشّعراء والرّواة المتذوّقين .[2]

ولعلّ اشتغال طبقة النّحاة واللغويين بجمع اللغة، وروايتهم للشّعر، وجمعه أيضاً ، ووقوفهم على أهمّ خصائصه في الصّياغة والمعاني، هو الذي أكسبهم قدرة على النّظر فيه، والتّعمّق في فهمه، وتذوّقه، ومعرفة ميزات الشّعراء ، كما ساعدهم على إبداء ملحوظات، وأحكام نقديّة كان لها دورها في دفع الحركة النّقديّة وازدهارها ، ملتزمين في نقدهم بالأصول التي وضعوها، ولا يسمحون لغيرهم بتجاوزها ؛ ولهذا فإنّ أحكامهم تميّزت بالشّدّة، وعدم التّسامح ، وهذا الذي أزعج عدداً كبيراً من شعراء ذلك العصر من بينهم الفرزدق الذي كثرت مآخذه عندهم ، فقال بهجاء من عرض لشعره بالنّقد من النّحاة واللغويين ؛ لأنّه لم يتقبّل التّوجيه والنّقد ، وذلك إن دلّ على شيء، فإنّه يدل إمّا على اكتسابهم اللغة وتدرّبهم عليها بالعلم لا عن طريق السّليقة والطّبع، وإمّا على أنّهم كرعوا إلى الآن ذلك الفرزدق "نكاد نهمُ داخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النّحو ، من ذلك قوله يمدح إبراهيم خال هشام بن عبد الملك :

وأصبح ما في النّاس إلاّ مملّكاً أبو أمّه حيّ أبوهُ يقاربه

---

[1] ينظر : المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص١١١ .

[2] ينظر : د. الحسين، قصي : النّقد الأدبي ومدارسه عند العرب (قراءة لمراحل تطور علم النّقد والعوامل التي طرأت عليه من العصر الجاهلي حتّى العصر الحديث) ، ص٧٠ .

فقال أبو العبّاس : ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً " [1] .

فعلى الرّغم من إشارة ابن سلاّم إلى ملحوظة نقديّة مهمّة مفادها أنّ الشّاعر قد يكون مشهوراً عند العامّة وأقلّ شهرة عند العلماء ؛ لأنّ الرّقّة والعذوبة تُعجب النّاس ، والعلماء بالجزالة والفخامة والمعنى البعيد أعجب ، إلاّ أنّ هذا الكلام فيه نظر ، فالنّقّاد القدامى حرصوا على فنيّة الشّعر وجماله، وذمّوا التّعقيد الذي يترك أثراً سلبيّاً، وكان هذا انطلاقاً من ذوق العامّة، إذ كرهوا التّعقيد على الرّغم من إدراك الخاصّة المعنى المراد منه ، فسوء التّركيب يجعل الكلام غير واضح الدّلالة ، فيختلّ بذلك نظمه، ولا يعرف السّامع كيف يصل إلى المعنى ، إذ يذكر المرزباني أنّ الفرزدق تعسّف تعسّفاً شديداً، ووضع أشياء في غير مواضعها ، وكان من حقّه أن يقول : وما[2] مثله في النّاس حيّ يقاربه إلاّ مَملكاً أبو أمّه أبوه .

وفي خبر ثانٍ يُذكر أنّ ابن أبي إسحاق كان شديد التّمسّك بالقواعد والقياس ، وهذا ما جعله يُخطّئ كلّ من ينحرف في تعبيره ، وكان بذلك كثير النّقد والتّعرّض للفرزدق ، إذ يذكر ابن سلاّم أنّه لما سمعه ينشد مدحته في يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشّأمِ تضربنا

بحاصبٍ كنديف القطنِ منثورِ

على عمائمنا يُلقى وأرحلنا

على زواحف تُزجى مخّها ريرِ

فقال ابن أبي إسحاق : أسأت وإنما هي (ريرُ) ، وكذلك قياس النّحو فلما ألحّوا عليه قال : " على زواحف نزجيها محاسير " [3] .

فالفرزدق يصف رحلتهم ، والجهد الذي أصابهم من الرّيح الحاصب، وأصاب جمالهم الزّاحفة إلى الشّام ، هذا كلّه معروف ؛ وإنّما الخصومة وقعت في قوله (مخّها ريرُ)، فهما مبتدأ وخبر ، لكنّه كسر الثّاني نزولاً على حكم حركة القافية ، أراد إقامة الوزن على حساب الخروج عن الأصول والقواعد ، وهذا ما غاض ابن أبي إسحاق، فخطّأه، فكان يلاحقه، ويتتبّع شعره، وقد أزعج ذلك الفرزدق، فهجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكنّ عبد الله مولى مواليا

---

[1] الجمحي، ابن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

[2] ينظر : المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص٩٧ .

[3] ينظر : الجمحي، ابن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص٢٩٩ ، وينظر أيضاً : المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، ص٩٩ .

فقال له ابن أبي إسحاق : لقد لحنتَ أيضاً في قولك : " مولى مواليا "، وكان ينبغي أن تقول (مولى موالٍ) " [١] .

وممّا يُروى أيضاً أنّ الحضرمي لما سمع الفرزدق ينشد قوله في مدحته لبعض بني مروان :

وعضّ زمانٍ يا ابن مروانَ لم يدعْ

من المالِ إلاّ مسحتاً أو مجلفُ

فقال له ابن أبي إسحاق : على أي شيء رفعت (مجلفاً)؟، قال الفرزدق: على ما يسوءك . اعترضه ثانية [٢] لرفعه قافية البيت، وكان حقّها النّصب ؛ لأنّها معطوفة على كلمة (مسحتاً)، لكن ربّما قصد الفرزدق إلى الاستئناف، حتّى لا يحدث في البيت إقواء يخالف به حركة روي القصيدة .

وممّن تصدوا للفرزدق عنبسة بن معدان الفيل، إذ أخذ عليه تأنيث المذكّر في قوله :

تُريك نجوم الليل والشّمس حيّة

زحامُ بنات الحارثِ بن عباد

إذ أكّد عنبسة أنّ الزّحام مذكر وليست مؤنّثاً [٣] .

هذه بعض الشّواهد وغيرها الكثير التي لا يجدر بنا ذكرها في بحث كهذا ، فعلى الرّغم من المخالفات التي ركبها الفرزدق يبقى له فضل كبير في استعمال حواشي الكلام، وغريبه، واستعمال الشّاذ النّادر ، وقد أثنى عليه يونس بقوله : لولا الفرزدق لذهب ثلث العربيّة ، فمن خلال هذه الشّواهد وتعليق[٤] النّقّاد عليها نتلمّس حرص النّقّاد القدامى على مراعاة الأصول، حتّى لا يكون هناك غموض في المعنى يُفسد الشّعر، ويُذهب حلاوته .

الخاتمة :

كانت آراء النّقّاد القدامى في شاعرنا متباينة مضطربة ، إذ يصعب معها الخروج بنتيجة دقيقة ، فقد كانت أحكاماً نقديّة موجزة لم يعن النّقّاد فيها بدراسة الشّعر كلّه، وتتبّعه، واستقصائه ، ولم يتحسّسوا مواطن الضّعف، والإجادة بدقّة لإصدار أحكام تتّسم بالعلميّة والموضوعيّة ، وكانت الآراء في مجملها سطحيّة تفتقر في كثير من الأحيان إلى الدّقّة العلميّة ، إذ اكتفوا بالإشارات الدّالة، والرّأي الشّخصي، وفي أغلب الحالات تكون مبنية على الفطرة، والذّوق، وتحمّل في جانب كبير منها تأثيراً سياسيّاً واضحاً .

أمّا أسلوب الفرزدق، فإنّه يعدّ صورة حيّة لشخصيّته، وقد تميّز بميزات كثيرة، منها كثرة التّقديم والتّأخير، ووجود التّعقيد اللفظي والمعنوي، والغموض أحياناً ، وربّما يمكننا القول: إنّ أسلوب الفرزدق صورة لأساليب الفصحاء من

---

[١] ينظر : الجمحي، ابن سلاّم : طبقات فحول الشّعراء ، ص١٨ ، وينظر : المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ص٩٥ .

[٢] ينظر : ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، ص٨٩ .

[٣] ينظر المصدر السّابق ، ص١٠٤ .

[٤] ينظر : الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني ، ٣٩٥/٢١ .

شعراء الجاهليّة في الفصاحة وغرابة الألفاظ ، ولهذا شبّهوه بزهير من شعراء الجاهليّة [1] ، فالفرزدق من الشّعراء الذين يكدّون ذهنهم في القصيدة، ويتعبون في التّنقيح والتّهذيب ؛ لذا كان شعره شائعاً في بيئة اللغويين والنّحاة .

ومهما يكن من أمر فقد أثرت الحركة النّقديّة حول المثلّث الأموي النّقد العربي برمّته ، على الرّغم من تأثّره أحياناً بالتّعصّب والأهواء .

ثبت المصادر والمراجع

١- الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني ، تح : عبد *الكريم إبراهيم العزاوي* ومحمود محمّد غنيم ، إشراف : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، ١٩٩٣م .

٢- الأصمعي : فحولة الشّعراء ، تح المستشرق س . توري ، قدّم لها د. صلاح الدّين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

٣- البغدادي ، عبد القادر بن عمر : *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب* ، تح : عبد السّلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧م .

٤- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *البيان والتّبيين، تح* : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٩٨م .

٥- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز: *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ، تح : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجاوي ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

٦- جرير : ديوانه ، شرح محمّد بن حبيب ، تح *: نعمان محمّد أمين طه ، دار* المعارف ، مصر ، ط٣ ، د.ت .

٧- الجمحي، محمد بن سلاّم : *طبقات فحول الشّعراء* ، قرأه وشرحه : محمود محمّد شاكر ، دار المدني ، جدة ، د.ت.

٨- د. الحسين، قصي: *النّقد الأدبي ومدارسه عند العرب* (قراءة لمراحل تطور علم النّقد والعوامل التي طرأت عليه من العصر الجاهلي حتّى العصر الحديث) ، دار الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

٩- د. حقي، ممدوح : *نوابغ الفكر العربي (الفرزدق)* ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، د.ت .

١٠- الصولي، أبو بكر : *أخبار أبي تمام* ، تح : خليل عساكر ومحمّد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي ، دار القلم ، بيروت ، د.ت .

١١- ضيف، شوقي : النّقد ، *دار المعارف* ، مصر ، ط٥ ، د.ت .

١٢- د. العاني، سامي مكّي : *الإسلام والشّعراء* ، عالم المعرفة ، العدد ٦٦ .

١٣- عبّاس ، إحسان : *تاريخ النّقد الأدبي عند العرب* ، دار الشّروق ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

١٤- العلوي، ابن طباطبا: عيار الشّعر ، تح : عبّاس عبد السّاتر، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

[1] ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، ص٤٧٦ .

١٥- الفرزدق، ديوانه، ضبط معانيه : إيليا الحاوي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .

١٦- قاسم، عون الشّريف : *شعر البصرة في العصر الأموي* (دراسة في السياسة والاجتماع) ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١م.

١٧- ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تح : محمّد *الدّالي* ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، د.ت .

١٨- ابن قتيبة : الشّعر والشّعراء ، تح : أحمد محمّد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.

١٩- القيرواني، أبو الحسن ابن رشيق : العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، تح : محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت.

٢٠- المرزباني، أبو عبد الله محمّد بن عمران: الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء ، نشرته : جمعيّة نشر الكتب العربيّة ، المطبعة السّلفيّة ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ.